المحاضرة الثالثة
2- العلاقات الجزائرية الهولندية خلال الفترة الحديثة - 1

1- ظهوردولة هولندا وتوسعها الخارجي :

ظهرت هولندا إلى الوجود في أوائل القرن السابع عشر إثر الصراع السياسي والديني الذي شهدته الأراضي المنخفضة في ظل الحكم الأسباني . كانت هولندا جزءا من البلاد المنخفضة الأسبانية ، التي كانت تضم البلاد التي تؤلف اليوم ، هولندا ، بلجيكا ، اللوكسمبورغ ، وشمال فرنسا . كانت تتألف من كثير من سبعة عشر إقليما .

لقد كانت الملاحة عاملا رئيسيا في نمو الاقتصاد في البلاد المنخفضة، فقد استطاعت في خلال بضع عشرات السنين أن تصبح أعظم الدول الاقتصادية والاستعمارية في العالم . وأصبحت وارثة لأسبانيا والبرتغال في البحر. ووسع الهولنديون نشاطهم في أراضي شمال أوربا وأمريكا والهند . وانتشرت سفنهم في بحار البلطيق والمتوسط والأطلسي والهادي.

وأصبحت أمستردام مركز الحياة الاقتصادية لهولندا منذ سنة 1585 عندما انتقل إليها التجار من مدينة (Anvers)، التي أصبحت من أكبر المراكز التجارية في أوربا . وفي سنة 1595 قاد كورنوليس هوتمان أسطولا من 4 سفن واتجه نحو الشواطئ الغربية لإفريقيا حتى وصل إلى رأس الرجاء الصالح . ومنه ذهب إلى جزيرة جاوة وأقام فيها مركزا تجاريا .

وفي عام 1598 انطلقت ثمانون سفينة هولندية نحو عدة جهات ، فحط بعضها في غينيا Guiné على شواطئ إفريقيا الغربية واتجهت أخرى نحو الهند عبر شواطئ إفريقيا. وعاد البحارة الهولنديون إلى بلادهم بمختلف البضائع التي كانت تتوفر عليها المناطق التي تصدرها مثل العاج واللؤلؤ والشاي والقهوة والتوابل . وقد توجهت هذه الرحلات إلى تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية سنة 1602 من أجل تنظيم عملية من تلك الخيرات .ولما كانت منطقة البحر المتوسط جذابة تتقاطر عليها مختلف القوى سواء المطلة على مياهه ، أو الواقعة خارج نطاقه ، أرسل الهولنديون سفنهم إلى حوضه ليشاركوا مع الأوربيين يسعون من جانبهم لفرض وجودهم فيه .

2- رحلة كورنليس بيجناكير الأولى إلى الجزائر وإبرام معاهدة سنة 1622 :

لقد أثارت المراكز التجارية التي كان يحتلها الفرنسيون في الساحل الشرقي للجزائر اهتمام الدول الأوربية الأخرى، وخاصة الهولنديين والانكليز . وقد نظم الهولنديون أعمال عدوانية ضد السواحل الجزائرية مشتركة مع إسبانا، على مدينة جيجل سنة 1610 ، والذي أدى إلى تخريبها. وفي سنة 1616 ، شنت هولندا هجوما آخر على سواحل نفس المدينة مع الأسطولين الأسباني والانكليزي . ومنذ بداية العقد الثاني من القرن السابع اهتمت هولندا بإرسال مبعوثين لها إلى الجزائر من أجل التوصل لاتفاقيات هدنة .

ومن أجل ذلك أرسال حكام هولندا مبعوثا إلى الجزائر وهو (CornelisPynacker)، الذي انطلق من بلاده في 7 جويلية 1622 ومعه سفينتين حربيتين . وفي 3 سبتمبر وصل إلى مدينة الجزائر. وظل في مدينة الجزائر إلى غاية 18 أكتوبر. مكلفا بمهمة التوصل مع الجزائريين إلى العيش في سلام والمطالبة بتحرير كل الأسرى الهولنديين دون مقابل ، وقبول سلام و تحالف ضد الأسبان. استقبل المبعوث الهولندي من قبل الباشا حسين حميد آغا

قائد جنود الإنكشارية ، وكذلك من طرف الديوان . أعلم الباشا حسين المبعوث الهولندي ، بأن عقد السلام سيكون مستحيلا دون عودة 12 أسيرا جزائريا تم أسرهم من طرف الهولنديين. و في 1 أكتوبر 1622 وعد بيجناكير بعودة الأسرى ، وتحصل من جهته على وعد بإعداد نصا لمعاهدة سلام . ووافق المبعوث على دفع 1500 فلوران ، وقد توجت بعثة بيجناكير بإبرام اتفاقية في شهر أكتوبر بين البلدين احتوت على 14 بندا. و في 18 من الشهر غادر المبعوث الهولندي الجزائر إلى تونس.

ـ حملة يوحنا فندلسين 1630 :

لقد عرفت العلاقات الجزائرية الهولندية توترا خلال عقود الثلاثيناث والأربعينات والخمسينات من القرن 17. و ما يفسر هذا الجو ،غياب القناصل الهولنديين في خلال هذه العقود. وفي وسط هذا الجو المشحون بين البلدين أرسلت هولندا سفينتين حربيتين ، على متنها السيدين يوحنا فيندليسن وأنطونيو دي كيسير.

وصل فيندليسن إلى مدينة الجزائر في جويلية 1630 ، وبعد شهر من وصوله إلى الجزائر في 21 أوت ، أسفرت على أن الحرب أصبحت حقيقة . لقد تبادل الطرفان اللوم والعتاب و رفض السلام . ووضح الجزائريون إلى فيندلسين بعدم جدوى إبرام معاهدة دون حضور القنصل . ولما لجأ فيدلسين إلى الحديث عن السفن الهولندية المحتلة من طرف الجزائريين رد عليه الجزائريون بأنه الهولنديون قد استولوا أخيرا على سفينة جزائرية عليها حمولة قدرت أكثر من 70 ألف فلورة. وكان مراد راس استولى على سفينة هولندية تدعى السنونة (l'hirondelle) التابعة لشركة الهند الغربية وكان على متنها 36 شخصا .

ولعل السبب المباشر للحرب بين البلدين هو هروب عشرة أسرى مسيحيين إلى السفينتين الحربيتين الهولنديتين اللتان حملتا المبعوث الهولندي، وقد رفض بحارتها إرجاع الأسرى الهاربين . وذكرت الرواية الهولندية أن الجزائريين خيروا المبعوث فندلسين بين الحرب وبين إرجاع الهاربين ، فاختار هذا الأخير الحرب . ووعد بأنه سيعود ومعه خمسين سفينة ، وخلال عودته إلى بلاده التي بلغها في ديسمبر 1630 حاول الاستيلاء على الجزائريين في البحر من أجل إبدالهم بأسرى هولنديين من الجزائر . لكن النتيجة كانت مخيبة إذ لم يتمكن من أسر سوى أربعة جزائريين فقط ، بينما تمكن الجزائريون من جهتهم خلال الشهور الأخيرة من سنة 1630 من احتلال 23 سفينة هولندية وأسر 500 هولندي.

ـ حملة أدرياتز دي رويتر الأولى Michel Adriaensz De Ruyter 1655:

رغبت هولندا في إرسال حملة ضد الجزائر بقيادة دي رويتر، الذي أعطى تعليمات ، للقيام باحتلال وحرق أو غرق الأسطول الجزائري. عندما بلغ رويتر مشارف مدينة الجزائر في نهاية أوت 1655 ، أعطى الأمر بتنصيب العلم الإنجليزي على ثمانية سفن ، وحراقتين وذلك بهدف مغالطة الجزائريين ، ثم أرسل ثلاثة سفن للاقتراب من مدينة الجزائر وتستطلع الوضع ، وقد أبلغت البعثة الاستطلاعية دي رويتر بأنها شاهدت أشخاصا في الميناء وإحدى عشر سفينة راسية فيه، خمسة منهم محمية داخل الرصيف.

بناء على هذه المعلومات قرر رويتر إرسال حراقاته إلى الميناء ليلا ، لكن الزوابع البحرية والأمطار منعته من ذلك . وفي 30 أوت نصب الهولنديون على أسطولهم أعلام بلادهم وتقدمت نحو مدينة الجزائر. رست السفن في مكان بعيد عن القذائف الجزائرية ، وأراد روويترا أن يجرب حظه في منح 250 فلوران لكل متطوع مستعد للمخاطرة بالذهاب

إلى الميناء بالحراقات خاصة وأن البحر كان هادئا في هذه الليلة . وفي اليوم الموالي فأدرك بأن الهجوم في هذه الحالة يكون مستحيلا، ولذا انسحب راجعا من حيث جاء.وفي طريق اصطدم بأسطول جزائري من إحدى عشر سفينة ووقعت معركة بينهما في مضيق جبل طارق، فقتل 120 جزائري ، كما فقدوا أربعة سفن، وعدد آخر وقع في الأسر. وواصل الجزائريون من جهتهم حربهم ضد الهولنديين الذين تمكنوا خلال الفترة مابين 1656-1661 من غنم 35 سفينة هولندية .

ـ حملة رويتر الثانية على الجزائر 1662 :

أرسلت السلطات الهولندية دي رويتر للمرة الثانية إلى الجزائر في مهمة سلام، و في 5 أفريل 1662 وصل دي رويتر إلى الجزائر مكث فيها 8 أيام، وغادرها في 13 أفريل . لقد بقي دي رويتر في السفينة دون أن ينزل إلى البر وتولى التفاوض باسم دي رويتر Gilbert de Uyanen ، لقد قابل هذا الشخص سفيان آغا . لقد أدت هذه المفاوضات إلى تحرير 55 هولنديا وأكثر من هذا أسفرت على هدنة لمدة 7 أشهر نصت على عدم تعرض البحارة الجزائريين إلى السفن الحربية الهولندية . كما نصت على حق الجزائريين في تحصيل الإتاوات عن السلع الإسبانية و الإيطالية الموجودة على ظهر السفن التجارية الهولندية . و نصب دي رويتر أحد رجاه المدعوAndries Vander Burgh للقيام بدور قنصل

ـ حملة دي رويتر الثالثة 1664 :

أرسلت هولندا مرة أخرى دي وريتر نحو الجزائر لافتداء الأسرى . فقد غادر بلاده في 11 أفريل 1664 ومعه 4 مدافع و 8 ألف فلوران. بلغ متوسط الفدية 500 فلوران لكل شخص ، وهو مبلغ كاف لتحرير كل الأسرى الهولنديون. وصل دي رويتر فلوران على رأس أسطول متألف من 12 سفينة إلى مدينة الجزائر في 19 جوان 1664. وقابل علي آغا يوم 30 جوان و أبدى لديه رغبته في افتداء كل الأسرى الهولنديون ، وأنه على استعداد لدفع 500 فلوران لكل شخص . استطاع دي رويتر أن يفتدي 55 أسير، مقابل 50 ألف فلوران.

أضاف الكاتب الهولندي فان كريكن Gerarde Van KrieKen بأن دي رويتر كان مهتما بافتداء بأسرى هولنديون آخرين ، مقابل المبلغ المتبقي له البالغ 30 ألف فلوران . لكن آغا طلب منه دفع مبالغ مالية مرتفعة مقابل أسرى مسيحيين أجانب.